**التفسير بالمأثور عن التابعين**

التابعون في اللغة : جمع تابع، يقال: تَبَعَ الشيء أي سار في أثره وَتَبِع: مشى خلفه. وفي الاصطلاح: كل من لم يدرك العصر النبوي ولقي أحد الصحابة وروى عنه ومات على الإسلام.

**قيمة تفسير التابعين**

كما اختلفت الآراء في قيمة تفسير الصحابي اختلفوا أيضا في قيمة واعتبار تفسير التابعي فمنهم من قال: بالحجية المطلقة؛ لأن التابعين تلقوا تفسيراتهم عن الصحابة وهناك من ذهب الى أن تفاسيرهم ليست حجة كما نقل ذلك عن أبي حنيفة قوله: ما جاء عن رسول الله (ص) فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة تخيرنا، وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال[[1]](#footnote-1). وهناك من فصل القول فإن كان مما لا مجال للرأي فيه يؤخذ مع عدم الريبة. أما اذا لم يحرز الصفة الأولى أي إذا كان يندرج تحت عنوان الاجتهاد فلا يجب الاخذ به إلا إذا أجمع التابعون على مسألة فيجب الاخذ به[[2]](#footnote-2). وقال الشيخ معرفة: تفاسير التابعين لها أهمية كبيرة لانهم أقرب عهدا الى عصر النزول ومعرفة أسباب النزول ومعرفة اللغة ومن هنا، فإن الرجوع الى ارائهم عنصر مهم في الوصول الى الرأي الصحيح ولكن لا من باب التعبد والتقليد[[3]](#footnote-3).

**مميزات تفسيرالتابعين**

1-التوسع في التفسير نسبتا الى العصر السابق الذي كان يعتمد على مفردات لغوية أو سبب النزول أما في هذا عهد التابعين فقد شمل معارف ومشاكل لم توجد سابقا وفرتها دخول أمم كثيرة في الاسلام بما تحمل من معارف ومشاكل لم تكن متواجدة سابقا.

2- ظل التفسير في هذه المرحلة محكوما بطابع التلقي والسماع مع تميز هذه المرحلة بالتخصص أي أن كل منطقة ترجع الى إمامهم في التفسير فعلى سبيل المثال كان المكيون يرجعون الى ابن عباس والمدنيون الى أبي وهكذا.

3-النظر والاجتهاد

4-دخول الاسرائيليات والنصرانيات في التفسير لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام كالحكايات المتصلة ببدء الخليقة، وأسرار الوجود وبدء الكائنات وكثير من القصص.

5-كثر الاختلاف في هذا العصر وان كان خلافا قليلا نسبة الى الخلافات التي ظهرت فيما بعد.

**نماذج تطبيقة**

روي عن مجاهد بن جبر الذي عرف عنه أنه ذو نزعة عقلية في التفسير وأنه يحمل بعض ظاهر القرآن على التشبيه والتمثيل كما ورد عنه في تفسير قوله تعالى: وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ[[4]](#footnote-4) قال: " مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله لهم[[5]](#footnote-5). ونقل عنه أيضا في تفسير قوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ[[6]](#footnote-6) فقال:تنتظر الثواب الى ربها، لا يراه من خلقه شيء[[7]](#footnote-7).

ما ورد عن قتادة في تفسير قوله تعالى: قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ[[8]](#footnote-8) بسبب النزول: قول: صلت الأَنصار نحو بيت المقدس حولين قبل قدوم النبي صلى الله عليه و سلم المدينة و صلى نبي الله صلى الله عليه و سلم بعد قدومه المدينة مهاجرا نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجهه الله بعد ذلك إلى الكعبة البيت الحرام. فقال في ذلك قائلون من الناس: ما وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانُوا عَلَيْها لقد اشتاق الرجل إلى مولده مكة. فقال الله عز وجل: قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ إِلى‏ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ‏[[9]](#footnote-9).

**أقطاب التابعين**

يصنف التابعون حسب مدارسهم وأئمتهم الذين أخذوا عنهم فهناك

 مدرسة مكة وإمامها ابن عباس.

 ومدرسة الكوفة وإمامها: عبد الله بن مسعود.

 ومدرسة المدينة وإمامها: أبي بن كعب.

فمن أقطاب المدرسة الاولى من التابعين هم: سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وعكرمة مولى بن عباس، وطاووس بن كيسان، وعطاء بن أبي رباح.

ومن أقطاب مدرسة المدينة من التابعين من تلاميذ أبن مسعود: زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب

أما مدرسة التفسير بالعراق أي الكوفة والتي كانت تقوم على ابن مسعود فأبرز تلاميذها من التابعين هم: علقمة بن قيس، ومسروق، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي والاسود بن يزيد.

**أسباب الضعف في التفسير بالمأثور**

قلنا سابقا أن التفسير بالمأثور يشمل أربعة انواع: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالرواية عن الرسول، تفسير القرآن بالمأثور الوارد عن الصحابة أو التابعين. وقد رويت روايات كثيرة في هذا الشأن ولكنها ليست في مستوى واحد من الاعتبار. ومن هنا فقد ابتليت هذه الطريقة في التفسير بالعديد من الآفات التي أثرت على الاخذ بها يقول أحد المتخصصين بهذا الشأن: " وأما تفسير القرآن بما يروى عن الصحابة أو التابعين فقد تسرب إليه الخلل ، وتطرق إليه الضعف الى حد كاد يفقدنا الثقة بكل ما روي من ذلك[[10]](#footnote-10) ".

 وفيما يلي سوف نتعرض الى

 **عوامل الخلل في هذا النوع من التفسير:**

1-كثرة الوضع

يعتبر الوضع والتزوير من أهم عوامل الوهن في روايات التفسير. وقد أرجع بعض الباحثين مبدأ ظهور الوضع في الروايات هي بعد وفاة أمير المؤمنين (ع). قال الذهبي: وكان مبدأ ظهور الوضع في سنة إحدى وأربعين ، بعد وفاة الإمام أمير المؤمنين"[[11]](#footnote-11)

وقال آخر: " وقد أجمع الباحثون والعلماء المحققون، على أن نشأة الاختراع في الرواية ووضع الحديث على رسول الله (ص) ، إنما كان في أواخر عهد عثمان، وبعد الفتنة التي أودت بحياته، ثم اشتدَّ الاختراع واستفاض بعد مبايعة الإمام أمير المؤمنين (ع) ، فإنه ما كاد المسلمون يبايعونه بيعةً تامةً، حتى در قرن الشيطان الأموي ليغتصب الخلافة من صاحبها، ويجعلها حكماً أموياً وقد كان واأسفاه! [[12]](#footnote-12). وقد كانت أسباب الوضع متعددة فمنها ما وضعه الزنادقة أو ما جاء على لسان الوعاظ لترغيب الناس في العبادة والدين او ما وضع من حديث لاسباب سياسية أو تزلفا لدى الأمراء وغير ذلك من اسباب. فقد روى ابن ابي الحديد: إن معاوية بذل لسمرة بن حندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب: " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ[[13]](#footnote-13). فلم يقبل فبذل له مائتي ألف درهم، فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروى ذلك. [[14]](#footnote-14)

2-الاسرائيليات: اسرائيليات جمع اسرائيلية، وهي قصة أو اسطورة تروى عن مصدر اسرائيلي سواء أكان عن كتاب أو شخص تنتهي اليه سلسلة اسناد القصة. وبالرغم من كون لفهذه اللفظة تدل بظاهرها على اللون اليهودي ولكن المراد به هنا هو ما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية[[15]](#footnote-15)؛ وذلك لان غالب ما يروى من هذه الخرافات يرجع الى أصل ييهودي. كانت العرب سابقا أي في العصر الجاهلي يرجعون الى أهل الكتاب لانهم أهل ككتاب ومن هنا يكانوا يرجعون اليهم في في معرفة شؤون الخليقة وتواريخ الامم السالفة وقد استمر هذا الحال حتى بعد وفاة الرسول (ص ).وهناك مجموعة من اليهود معروفة بهذا الامر منهم عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ووهب بن منبه وغيرهم. وفيما يلي فهرساً بمجموعة من الاسرائيليات المبثوثة في كتب التفسير:

1. الاسرائيليات في قصة هاروت وماروت
2. الاسرائيليات في بناء الكعبة
3. الاسرائيليات في قصة قتل داود جالوت
4. ماورد في قصة آدم ووحواء
5. الاسرائيليات في قصص بني اسرائيل
6. الاسرائيليات في سفينة نوح
7. الاسراءيليات في قصة يوسف
8. الاسرائيليات في شجرة طوبى
9. الاسرائيليات في قصة اصحاب الكهف
10. ما ورد في قصة ذي القرنين ويأخجوج ومأجوج
11. الاسرائيليات والخرافات فيما يتعلق بعمر الدنيا وبدء الخلق وأسرار الوجود وتعليل الظواهر الكونية الشمس والقمر والرعد والبرق والصواعق والزلازل وغيرها.

**نماذج من الاسرائيليات.**

الاسرائيليات في قصة آدم (ع) واختلافها عن القرآن

اسلوب القصة في القرآن تختلف اختلافا كبيرا عما جاء في التوراة فالقران عادة ما يركز على موضع العبرة ولا يتعرض لتفاصيل القصة فلا يذكر أسماء الاشخاص ولا أسماء البلدان ولا يتعرض كثيرا الى التفاصيل والجزئيات بخلاف اسلوب التوراة. فلو عقدنا مقارنة بين قصة آدم ( ع) وحواء في سورة البقرة والاعراف وبين ما جاء في التوراة في سفر التكوين نجد أن القرآن لم يتعرض لمكان الجنة ولا لنوع الشجرة التي نهي آدم عن الاكل منها ولا بين الحيوان الذي تقمصه الشيطان فدخل الجنة ليزل آدم كما لم يتعرض للبقعة التي هبط إليها آدم وأقام بها بعد خروجهما من الجنة في حين نجد في التوراة ذكر لكل تلك التفاصيل: الجنة تقع في عدن شرقا، الشجرة هي معرفة الخير والشر، الذي خاطب حواء هي الحية كما ذكرت كيف انتقم الله من الحية بأن جعلها تمشي على بطنها وتأكل التراب وانتقم من حواء بتعبها هي ونسلها في حبلها[[16]](#footnote-16).

3-حذف الاسانيد

ومن الآفات التي ابتلي بها التفسير بالأثر هو حذف الاسانيد أي نقل الاقوال غير معزوة الى قائلها فدخل الضعيف والموضوع والتبس الصحيح بالعليل. إن حذف الاسانيد من الروايات جعل كل من يخطر بباله شيء يعتمده فينقله الذي يأتي من بعده ظانا أن له أصل وهكذا يلتبس الصحيح الامر وتختلط الامور ومن هنا انتشرت الموضوعات والاسرائيليات والاحاديث الضعيفة في التفسير مع ما فيها من مسائل تخالف العقل والنقل.

**التعريف بأشهر كتب التفسير بالمأثور:**

1-جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت310هـ)

2- تفسير العياشي، محمد بن سعود بن عياش ، (ت320هـ)

3-تفسير القمي، علي بن إبراهيم بن هاشم القمي (ت329هـ)

4-الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن إبراهيم الثعلبي(ت427ه)

5-الجواهر الحسان في تفسير القرآن،عبد الرحمن بن محمد الثعالبي(ت867ه)

5-نور الثقلين( تفسير الحويزي ت1112هـ)

6-تفسير البحراني أو تفسير البرهان، هاشم بن سليمان البحراني(ت1107هـ)

7-الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي(ت911ه)

8-تفسير الصافي، الفيض الكاشاني (ت1091ه)

9-كنز الدقائق وبحر الغرائب أو تفسير المشهدي،محمد رضا بن جمال الدين المعروف بالمشهدي( ت1125ه)

10-تفسير القرآن العظيم أو تفسير ابن كثير،عماد الدين أبي الفداء الدمشقي (ت774ه)

والروايات الواردة في بيان الآية و...فالغفلة عن تلك الشروط يوقع المفسر في ورطة التفسير بالرأي[[17]](#footnote-17).

**العلوم التي يحتاج إليها المفسر**

اشترط العلماء مجموعة من الشروط والضوابط التي ينبغي أن تتوفر في المفسر حتى يكون مؤهلاً للتفسير وبفقدانها يكون من مصاديق المفسرين بالرأي المذموم والتي ورد النهي عنه في الروايات ومن تلك العلوم:

1-علم اللغة من شرح مفردات الألفاظ ومداليلها بحسب الوضع

2- علم النحو: لان المعنى يتغير بحسب الإعراب

3- علم الصرف فينبغي للمفسر أن يكون ملما بهذا العلم فبواسطته تعرف الابنية والصيغ. ومن هنا فقد أخطأ بعضهم في القول إن "الإمام" جمع "أم" في قوله تعالى: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ[[18]](#footnote-18) وأن الناس يدعون يوم القيامة بإمهاتهم دون آبائهم وهذا غلط وجهل بالتصريف فإن أماً لا تجمع على إمام[[19]](#footnote-19).

1. الاشتقاق:فإن الاسم اذا كان اشتقافه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهم كما هو الحال في المسيح هل هو من السياحة أو من المسح؟
2. علوم البلاغة (المعاني، البيان والبديع) وهي من أعظم أركان التفسير وشروط المفسر
3. علم القراءات: فعن طريق معرفة القراءة يمكن ترجيح بعض الوجوه على بعض.
4. ذكر السنن المنقولة عن النبي ومن شهدوا الوحي وما اتفقوا عليه وما اختلفوا
5. ما يتعلق بأسباب النزول فإن معرفة سبب النزول له دور كبير في إضاءة الآية.
6. علم أصول الفقه لان به يعرف كيفية استنباط ألاحكام من الآيات ومن هنا ينبغي معرفة الناسخ والمنسوخ والعموم والخصوص والمجمل والمفس ودلالات الامر والنهي وما سوى ذلك.

علم الكلام وعن طريقه يستطيع المفسر أن يستدل على ما يجب في حقه وما

1. -التفسير والمفسرون، الذهبي، ج1، ص 87. [↑](#footnote-ref-1)
2. -انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، ج1، ص 88. [↑](#footnote-ref-2)
3. -التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، ج1، ص424 [↑](#footnote-ref-3)
4. -البقرة:65 [↑](#footnote-ref-4)
5. -التفسير والمفسرون، الذهبي، ج1، ص 74 [↑](#footnote-ref-5)
6. -القيامة:22-23 [↑](#footnote-ref-6)
7. -المصدر السابق. [↑](#footnote-ref-7)
8. -البقرة:142. [↑](#footnote-ref-8)
9. -جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، ج2، ص5. [↑](#footnote-ref-9)
10. -التفسير والمفسرون، الذهبي، ج1، ص 106. [↑](#footnote-ref-10)
11. -المصدر نفسه، ص 107 [↑](#footnote-ref-11)
12. -أضواء على السنة المحمدية، ص 118. [↑](#footnote-ref-12)
13. -البقرة:204 [↑](#footnote-ref-13)
14. -شرح ابن ابي الحديد،ج4، ص 73. [↑](#footnote-ref-14)
15. -التفسير والمفسرون ، الذهبي، ج1، ص 111. [↑](#footnote-ref-15)
16. -راجع:. [↑](#footnote-ref-16)
17. -راجع:. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب،ج1، ص 69-70. [↑](#footnote-ref-17)
18. -الاسراء:71 [↑](#footnote-ref-18)
19. -التفسير والمفسرون، الذهبي، ج1، ص 176. [↑](#footnote-ref-19)